الإتجاه الثوري : دراسة في فكر جمال الدين الافغاني

جمال الدين الافغاني : ولد في شعبان من عام ١٨٣٨ في بلدة اسعد اباد ، ويرتفع نسبه إلى الاسرة النبوية ، من ابرز مؤلفاته " رسالة في إبطال مذهب الدهريين " توفي جمال الدين في ٩ آذار ١٨٩٧.

- **تجاوز الفروق الدينية في المجتمع السياسي**

لم يميز الافغاني بين مواطني الشرق بسبب عقائدهم الدينية التي يدينون بها ، وانما **كان من اكثر المفكرين توسعاً بمعنى المساواة** ، ومميلاً للعمل بها ، ولاسيما في الحقوق العامة التي لايصلح لها معنى إلاَّ بالحرية المعقولة .

ان المساواة لدى الافغاني بين معتنقي الاديان السماوية لم تكن نابعة من اعتبارات سياسية عارضة ولا وليدة لضرورات وطنية ، وانما كانت الأسس التي بنى الرجل عليها فكره وموقفه ، وهي إيمان الافغاني بوحدة جوهر هذه الاديان ووحدة الغايات السامية التي تنشدها التعاليم الرئيسة الخالية من الزيف والتحريف التي اشتملت عليها المنابع الاولى لهذه الاديان.

- **الحكم الدستوري**

آمن الافغاني بالحكم الدستوري وكان ينفر بشدة من الحكم الفردي ، و يعتقد بضرورة خضوع الحاكم القانون الدي يضعه الشعب ملائماً لاحتياجاته ومراحل تطوره .

ومما يستحق الذكر ان فكرة خاطئة شاعت و نسبت الى جمال الدين الافغاني عن ضرورة **قيام الحاكم المستبد العادل لإصلاح الشرق** ، و الحقيقة ان هذه الفكره لاتجد أي قبول لدى جمال الدين ولا تنسجم مع خط حياته المتصارع مع الاستبداد.

ولقد رد الافغاني عن الفكرة المنسوبة اليه بان الشرق يحتاج إلى مستبد عادل ، فقد قال ان هذا من قبيل جمع الاضداد ، وكيف يجتمع العدل والاستبداد ، إذ يجد **خير صفات الحاكم "القوة والضعف" ولا خير بالضعيف العادل ، كما انه لا خير في القوي الظالم.**

ويرى الافغاني ان الأمة لا تثبت على حال ولاينضبط لها سير، فإذا كانت الأمة خاضعة لحاكم واحد إرادته قانون ، ومشيئته نظام ، يحكم مايشاء ويفعل ما يريد ، وبناءً على ذلك قد تواجه حياة الأمة السعادة والشقاء ، ويتداولها العلم والجهل ، ويتبادل عليها الغنى والفقر ويتناوبها العز والذل تبعاً لحال الحاكم وسلوكه.

ويجد الافغاني ان الخلاص من الحكم الدستوري تكون حينما يكون في الأمة إرادة قوية لإستئصال الاستبداد قبل ان ينتشر في جميع الأمة ، فعندما ينتشر الاستبداد ينقطع الأمل في العلاج.

- **الشورى في الحكم**

يبين الافغاني انه لايمكن للإنسان وحده ان يحيط بجميع المنافع الخاصة بنفسه، ولا "ان يطلع على منابع فوائده ليكسبها ، أو يكشف مكامن مضاره فيتقيها" فالإنسان قد خلق ضعيفاً فارشده الله للاستعانة بغيره من بني جنسه ، فالله قد خلق الناس محتاجين للتعاون والتناصر.

ويشدد الافغاني الى ان الله قد نبيه بالتشاور وهو المعصوم من الخطأ تعليماً وارشاداً فقال " وشاورهم في الأمر" وقال فيما امتدح به المؤمنين" وامرهم شورى بينهم".

- **الوحدة والسيادة**

يعتقد الافغاني ان **الوحدة والسيادة أمران خطيران توجبهما الضروره حيناً والدين في حين آخر والتربية وممارسه الاداب حينا ثالثاً.**

فبالوحدة والسيادة يتحقق نمو الأمة وعظمتها ورفعتها واعتلاها ، وتستمر الأمة بهذه الاوصاف طالما استمكن فيها هذان الأمران.

- **قضيه الثورة**

كان جمال الدين **من المؤمنين بحق الثورة** لذلك كان يتقلب بعنف على كل حاكم يخيب امله فيه .

وقد ساعدت مقاومته هذه على تقوية الحركات الدستورية والقومية التي كانت في بداية ظهورها آنذاك.

ولم يتخلَ الافغاني عن هذه الثورية حتى في فترات النكسة والتراجع الثوري والوطني ، فمثلاً عند احتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢ اقترح تلميذه محمد عبده عليه ان يذهبا إلى مكان بعيد غير خاضع لسلطان دولة تعرقل مسيرتهما ، ثم ينشئا فيه مدرسة للزعماء ، رفض الافغاني ذلك ولم يرق له ذلك الجنوح إلى السلامة والمبالغة في التشاؤم.

- **التعصب**

يرى الافغاني ان التعصب هو قيام بالعصبية ، والعصبية نسبة إلى العصبة ، وهي قوم الرجل الذين يعززون قوته ويدفعون عنه الضيم والعداء.

والتعصب (وصف للنفس الإنسانية تصدر عنه نهضة لحماية من يتصل بها والذود عن حقه).

وقد شكل الله الشعوب واقام بناء الأمم بالتعصب ، والتعصب بهذا المعنى يدفع الأمم إلى التنافس بما يتوفر لها من اسباب الرفاهية وهناء

العيش ، وما تجمعه قواها من وسائل العزة والمنعة وسمو المقام ونفاذ الكلمة ، والتنافس بذلك أعظم باعث على بلوغ اقصى درجات الكمال في جميع مجالات الحياة كافة.

ويعتقد الافغاني ان ضعف التعصب بين افراد الأمة يؤدي إلى تداعي بناء الأمة إلى الانحلال ، كما يتداعى بناء البنية البدنية الى الفناء.

ويرى **ضرورة ارتباط التعصب بالاعتدال** والافراط فيه مذمة تبعث على الجور والاعتداء ، فالمفرط في تعصبه يدافع عن الملتحم به بحق وبغير حق، ويرى عصبته منفردة باستحقاق الكرامة.

والتعصب قد يكون مرجعه رابطة النسب والاجتماع في منبت واحد ، وقد يكون مصدره الدين ، فالتعصب الديني يعني " قيام الملتحمين بصلة الدين لمناصرة بعضهم بعضاً"، والتعصب الديني إذا وقف عند الاعتدال ولم يدفع إلى جور المعاملة ، فهو فضيلة من أجل الفضائل واوفرها نفعاً واجزلها فائدة ، بل هي اقدس رابطة واعلاها.

مع ذلك **يقر الافغاني ان التعصب الديني قد يطرأ عليه من الافراط فيفضي إلى ظلم وجور** ، وربما يؤدي إلى قيام أهل المدن لإبادة مخالفيهم ومحق وجودهم.

- **الحاجة إلى النبوة لقيادة المجتمع البشري**

يفهم من جمال الدين الافغاني انه يرى ان حياة الفرد في المجتمع تسير في أحد المسارات الآتية:

- أما ان يدافع كل فرد عن حقه بالقوة ، وهذا ما يؤدي إلى الفوضى والاضطهاد.
- أو ان يتقيد كل فرد بما يمليه عليه شرفه ، ومفهوم الشرف يتغير من مجتمع إلى آخر ، بل من طبقة إلى أخرى.
- أو ان يؤمن الناس بوجود الله والحياة الابدية وبيوم الحساب ، وهو ايمان يضع وحده الأساس الثابت للتقيد بالمبادى الخلقية.

ويجد الافغاني ان وسيلة اتصال الله بالبشرية انما هم الانبياء ، لذلك كانت " **للنبوة وظيفة عملية ، فقد بعث النبي لإنشاء مجتمع فاضل والمحافظة عليه**".

وتبعاً لذلك فان هناك نخبتان لقيادة المجتمع البشري:

- **المعلمون الذين ينورون الذهن .**
- **والمرشدون الذين تنضبط بمناهجهم الشهوات ويدلون الناس على طريق الفضيلة ، والانبياء ينتمون إلى الفئة الثانية.**

- **التفريق بين النبوة والفلسفة**

القى الافغاني محاضرة في الاستانة حول الحث على الصناعات ، وان مضامين محاضرته فهمت من قبل البعض على انه وضع الفلسفة على قدم المساواة مع النبوة ، مما ولد ردود فعل قوية ضده ، اضطرته لمغادرة الاستانة ، والحقيقة ان الافغاني شبه المعيشة الإنسانية ببدن حي ، وان **كل صناعة بمنزلة عضو من ذلك البدن تؤدي من المنفعة في المعيشة ما يؤديه العضو في البدن ، فهذا ما يتألف منه جسم السعادة الإنسانية ولا حياة لجسم إلاَّ بروح ، وروح هذا الجسم أما النبوة أو الحكمة (الفلسفة).**

ويميز الافغاني بين النبوة والفلسفة ، فيذكر :

- النبوة منحة آلهية لاتنالها يد الكاسب يختص الله بها من يشاء من عباده، أما الحكمة فما يكتسب بالفكر والنظر في المعلومات.
- النبي معصوم من الخطأ ، والفيلسوف يجوز عليه الخطأ بل يقع فيه.
- أحكام النبوات آتية على مافي علم الله لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فالأخذ بها من فروض الايمان ، أما آراء الحكماء فليس واجب اتباعها.